

إعلاء كلمة الحق في يوم المباهلة



في التاريخ الإسلامي ترتبط كلمة المباهلة بإحدى أهم الحوادث الإسلامية، التي ذكرها القرآن الكريم في سورة آل عمران، الآية 61، في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمُ عِلَى الْكَاذِبِينَ﴾. حيث يصادف يوم الرابع والعشرين من ذي الحجة يوم المباهلة، والمباهلة هي طريقة إسلامية تكون في نهاية الحوار بين الآراء المختلفة، عندما يستنفذ الجميع الحوار فيما بينهم حول قضايا العقيدة، ويأبى أحد الطرفين أن يقرّ بالحقيقة من وجهة نظر الطرف الآخر، فيدعو الطرف الذي يعتبر نفسه أنّه يملك الحقيقة، الجانب المنكر إلى المباهلة، بأن يلتقي مع أحبّ الناس إليه مع الطرف الآخر فيمن يختاره، ويقفا أمام الله ليُدعوا ويبتهلا إليه أن يجعل لعنته على الكاذبين، ومن المعروف في تجربة المباهلة أنّ الله تعالى يُنزل العذاب على الكاذب منهما.

إنّ يوم المباهلة، يوم مشهود، وهو مصدر عظمة في سلسلة الأيام الإسلامية وهو يوم تألق نوره بين الأيام المشعة في الرسالة المحمدية، وهو يوم مشهود حقت فيه كلمة الله العليا، وتمت فيه الغلبة للإسلام. هو يوم المفاجآت الكبرى، والمواقف الحازمة والحاسمة، هو يوم سيكون مشهوداً على مدى الأجيال وامتداد الزمن، لا شبيه له ولا مثيل، إنّ المباهلة كانت جارية في الأمم السابقة، ولها أصولها وسننها.

أما المعنى اللغوي للمباهلة فهي الملاعنة والدعاء على الطرف الآخر بالدمار والهلاك، وقوله عزّ وجلّ (نَبْتَهِلْ) أي نلتعن. وقد نزلت هذه الآية حسب تصريح المفسرين جميعاً في شأن قضية وقعت بين رسول الله (ص) ونصارى نجران. حيث أمر الله نبيّه بالمباهلة إذا جاءه من يجادله من بعد ما جاء من العلم والمعرفة، وأمره أن يقول لهم: إني سأدعو أبنائي، وأنتم أدعوا أبناءكم، وأدعو نسائي، وأنتم ادعوا نساءكم، وأدعو نفسي، وتدعون أنتم أنفسكم، وعندئذ ندعو الله أن ينزل لعنته على الكاذب منا ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمُ عِلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

زَيْدٌ تَهْلُ ۖ فَذَجَّعَلْ لَّعْنَةَ اللّٰهِ عَلٰى الْكَاذِبِيْنَ ۚ. ولا حاجة للقول بأنّ القصد من المباهلة لم يكن إحضار جمع من الناس لللعن، ثم ليتفرقوا ۚ كلّ إلى سبيله، لأن عملاً كهذا لن يكون له أي تأثير، بل كان المنتظر أن يكون لهذا الدعاء واللعن أثر مشهود عياناً ۚ فيحقيق بالكاذب عذاب فوري، وبعبارة أخرى: فإنّ المباهلة وأن لم يكن القرآن ما يشير إلى تأثيرها، كانت بمثابة السهم الأخير بعد أن لم ينفع المنطق والاستدلال، فالدعاء وحده لم يكن المقصود بها، بل كان المقصود منها هو أثرها الخارجي.

إنَّ آيةَ المِباہِلةِ قد نزلت بحقِّ أهلِ بیتِ النبیِّ (ص)، وأنَّ الذینَ أصطحبهم النبیُّ (ص) معه للمِباہِلةِ بهم: الحسنُ والحسینُ وفاطمةٌ وعليٌّ (علیهم السلام)، فإنَّ أبناءنا الواردة فی الآیةِ ینحصر مفہومها فی الحسن والحسین (علیہما السلام)، ومفہوم نساءنا ینحصر فی فاطمة (علیہا السلام)، ومفہوم أنفسنا ینحصر فی علیٍّ (ع) وهناك أحادیث كثيرة بهذا الخصوص. وجاء فیہ عن الإمام الرضا (ع) قوله: «میزان الطاہرین من خلقه، فأمر نبيِّه (ص) بالمِباہِلةِ بهم فی آیةِ الِابْتِہَالِ. فقال عزَّ وجلَّ: یا محمدُ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا زِدْنَاكُمْ وَالْأَنْبِيَاءَ مِنْكُمْ وَالْسَّائِرِينَ وَزِنُوا أَمْثَالَهُم بِثِغَرِ ظُلُمْ» فَأَبْرَزَ النَبِيُّ (ص) عَلِيًّا وَالْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ وفاطمةَ (علیہم السلام). وقال (ص): فهذه لا یتقدَّمُ مِهم فیها أحد، وفضل لا یلحقهم فیہ بشر، وشرف لا یسبقهم إلیہ خلق». هذا هو الإسلام فی منهجه، وهذا هو یوم المِباہِلةِ التي انطلق بها النبیُّ (ص) مع الصفوة الطیبة من أهلِ البیت (ع)، الذین لا بد لنا من أن ندبِعهم لأنهم أخلصوا للإسلام وأهله، وأخلصوا للنبيِّ (ص) الذی عاشوا فی حضانتہ وتربیتہ وانفتحوا علی کلِّ آفاقہ.